التدريب على التعريب

لحضرة الكاتب العالم المحقّق والباحث المتفنّن المدقّق الاب انستاس الكرملي

لقد اصبحنا في زمان ضاق دونهُ نطاق اللغة العربيَّة . وغدا ابناؤها في حاجةٍ ماسَّةٍ الى إدخال الكلم الاعجميَّة . في مصطلحاتها العلميّة والصناعيَّة . اذ ليس اليوم من كاتبٍ يكتبُ عن شيء عصريّ . او يُنتدب لتأدية رسم فكريّ . او تصوير امرٍ فِطري . الَّا ويتخذ لذلك قوالب غريبة . وصُوراً ألوانها جديدة قشيبة . وهذا ما تشهد بهِ الصُحف التي تجوب الأقطـار . والكتب العربيَّة التي تؤلَّف في جميع الديار . الَّا انهُ وان كان الجميع يشعر بهذا الخلل في اللسان . ووجوب ادخال الاعجمي فيهِ على تراخي الزمان . غير انهم لم يتفقوا في الكم والكيف لما يتصوَّرهُ كل حزبٍ من وراء ذلك على اللغة من الحَيف

امَّا من جهة « الكم » فان البعض منهم « افرطوا » في استعمال الدخيـل ايَّ افراطٍ . حتى اثار في كثيرين الهياط والمياط . واشتدَّ فيهم الصخب والعياط . ومنهم من « فرَّط(١ » اي تفريط . حتى عُدَّ ممَّن ليس من هذا العصر الجديد النشيط . بل ممَّن اذا قيل لهُ تَتِمْ يقول « حتى يجيء نشيط » . ومنهم من ركب مَتناً « وسطاً » جامعاً بين الطرفين . ياخذ الزَّين . ممَّا في الاثنين . ويدفع الشين . الى مطارح البَين والحَين . وهذا الراي يكاد يكون الراي الغالب في هذه الأيَّام . وعليهِ يعوّل العلماء الأعلام

امَّا من جهة « الكيف » فان منهم من ذهب الى وجوب ادخال اللفظة الاعجميَّة بهيئتها وصيغتها الاجنبيَّة . ومنهم من قال بان تفرغ الكلمة اوَّلاً بقالب عربي . ثم توزن بميزانٍ قُرَيشيّ . فان كان فيها ما يثقل الميزان . او يوقر الآذان . طُرحت تلك الزيادة . وان أضرَّت بالفائدة او الافادة . ثم يُستحَل مكانها . ويُزَلَّم صَوْغها وبُنيانهـا . وبعدئذٍ تُبرَزُ تلك الفرائد من وراء ذلك القناع . لترصَّع بها اصداف الاسماع . وان كان فيهـا ثلم او نقصان . يُزاد عليهـا بعض الزَّيدان . لتلحق باحد الاوزان العربية . والصيغ

١) فرَّط في الشيء قصَّر فيهِ وعجز وهو ضدّ افرطَ

المسموعة عن ايمة اللغة المُضَرِيَّة. واماً على ايّ وجهٍ تكون هذه الزيادة او هذا الطرح. فمما يطول فيهِ الشرح. لانهم تركوه الى الاهواء والاذواق. او ما انعقد تحت هذا الباب او هذا النوع من الرواق

ومنهم من قال لا حاجة لنا الى ادخال كلمٍ اعجمية. في اللغة العربيَّة. بل يُوضع فيها ما يَعني معناها. فيُغني مَعناها. وذلك على الطريقة التي دخلت الكلمة الغصريَّة. في اللغة الاجنبيَّة. وفي كل هذه المذاهب من الآراء ما اثار بين اصحابها حربًا سجالًا. واستلزم لشرحها مقالاتٍ طوالًا. وبعد ان اجلنا النظر في ما كتب هؤلاء الادباء. ووقفنا على ما عثرنا عليهِ في كتب القدماء النجباء الالبَّاء. لخَّصنا هذه المقالة. لعلَّها تكون للعاثر اقالة. وللجائع عُجالة. هذا وقد اعتمدنا في كلّ ما حرَّرناهُ على اقوال الايمة. مؤيدين كل رايٍ بما لهُ من الاسانيد المهمَّة. مستخلصين من نصوصهم بعض قواعد ظواهر. تكاد تزري بالفرائد النوادر. لا بل بالخرائد النواضر

اً دفع راي من يُفرط في ادخال الالفاظ الاعجمية في اللغة العربيَّة

اذا انعمتَ النظر في ما يكتبهُ هؤلاء الادباء ترى الفاظهم الاعجمية لا تخلو من احد هذه الامور الثلاثة وهي: كلِمٌ دخيلة لا مرادفات لها في العربيَّة. وكلم لها مرادفات فيها لكنهم يجهلونها. وكلم يمكن ان يوضع لها مرادفات من نفس اللغة. غير ان هؤلاء الكتبة لا يلتفتون الى هذه الفروق بل كثيرًا ما نراهم يدوّنون الالفاظ الاجنبيَّة حُبًا بها وتشيُّعًا لاصحابها وافتخارًا بادخال الفاظ غريبة لا يفهمها جمهور القرَّاء تبجُّحًا بالتبحُّر في العلم والمعرفة وادّعاء بهتك حُجُب المجهولات. فاذا كان الامر كذلك فما احرى بهؤلاء الفضلاء العقلاء ان يكتبوا باللغة الاعجمية فيبرّدوا بذلك غليلهم ويُشفوا بهِ عليلهم ولا يُجهزوا على لغتنا الشريفة

هذا واَنَّنا نعترض عليهم بقولنا: اذا كنتم تُدخلون الكلمة الفلانية الاعجمية بدون علَّةٍ او بعلة وهميَّة فلِمَ لا تدخلون الكلمة الثانية والثالثة والرابعة بل اللغة بحذافيرها. واذا كان الهوَى هو الحَكَمُ في هذه الدعوى فسدت كل حجَّة لانهُ ليس من قائد يقود الهوى ولا من رادع يردعهُ وهوى هذا غير هوى ذاك وما يرحب بهِ زيدٌ يدفعهُ عمرٌو وعليهِ فما تلبث اللغة ان تُصبح أُلعوبةً بيد هؤلاء الاقوام المتباينين في المشارب والمذاهب

ولا تعتم ان تنقلب طُمْطمانية او رُطَيني او لغة مبلبلة لا يفهم فيها الواحد لغة الآخر

ومن الامور التي تُوجب علينا تسفيه راي مثل هؤلاء الكتّاب ان للغة العربيّة كما لسائر اللغات الفاظاً واوضاعاً خاصّة بها فاذا كان يرذلها الكاتب لغاياتٍ في صدرهِ فلماذا ينسب لنفسهِ بعد ذلك معرفة العربيّة ولماذا يدّعي السلامة لعقلهِ مع انهُ اذا راى رجلاً يخبط خبط عشواء في كلامه وينتقل من موضوعٍ الى موضوعٍ آخر ومن فكر اول الى فكر ثانٍ بدون جامع يجمع بينهما وبدون رابطٍ يربط هذا بذاك يقول ان هـذا الرجل مصاب في عقلهِ . ولماذا لا يقول مثل هذا القول لنفسهِ وهو ينتقل من لغة الى لغة ومن لفظٍ الى لفظٍ بدون سبب يؤذن لهُ ذلك او يجيز لهُ هذا الانتقال

وهنا يعترض علينا اصحاب الراي المخالف بقولهم : ان اللغة ترجمان صادق عن حالة الأُمّة ينطق بحياتها ان رآها حيّةً ويفصح عن احتضارها ان الفاها قد أشفت على شفا البوار والزوال . فاذا كانت حيّةً فلا بُدَّ لها من النمو وهذا يكون بالاضافة اليهـا من الخارج (اي من الدخيل) كما تنمو بالتوسّع فيها من الداخل شأن الاجسام الحيّة

قلنا : في هذا الكلام صحيح وفاسد . فصحيحهُ ان عنوان الحياة هو النموّ . وفاسدهُ ان يكون هذا النموّ من الداخل والخارج بوجه الاطلاق . امّا موطن فسادهِ فهو ان النموّ لا يكون الّا اذا كانت تلك الدقائق الجديدة (داخليّة كانت او خارجيّة) تُوافق بناء الدقائق الجوهريّة الاصليّة . والّا فان لم يتمّ هذا الشرط او ما ضـاهاهُ تدافعت الدقائق وامتنع النموّ واقبلت جيوش الانحلال والاضمحلال كما هو الامر في السموم وسائر الاجسام المحلّلة لغيرها اي اننا نرى هذه السُنَّة في نفس الجماد والنبات والحيوان وعلى مثالها حياة اللغة . فان الالفاظ الاجنبيّة التي لا يماثل جوهرُها جوهر الالفاظ العربيّة او لعدم الحاجة اليها لا تزال تتقاتل طائفة الالفاظ الاصليّة حتى تُميت الواحدة الاخرى . فانظر مثلاً الى بعض الالفاظ مثل : جُرنال وغزّتة ونحوهما . فانها كانت كثيرة الاستعمال قبل ٥٠ سنة فما ظهرت كلمة جريدة وصحيفة حتى التحم القتـال بين هاتهِ وتلك ولم يَعُد يبقى للاولى أثرٌ في المصنّفات الحديثة . مع ان الكلمتين الاوليين قد أفرغتا في قالب عربيّ ووُزنتا بميزانٍ قُرَيشيّ

ويعترضون : ان العرب لمّا نقلوا كتب الاعاجم الى لغتهم ادخلوا كثيرًا من الالفاظ العلميّة والاصطلاحية من لغات الاجانب فلماذا يجب علينا ان نكون أغيرَ

على العربيَّة من اصحابها الاوَّلين عليها ؟ — قلنا : ان ناقلي كتب الاقدمين فريقان . فريق عارف بالعربيَّة وطرقها واساليبها وشعابها الخ . وفريق لا يعرف منها الَّا قواعدها العامَّة الكافية لاصلاح كلامهِ وتخليصهِ من شوائب الخطأ والخطل . فالطائفة الاولى لم تُدخل في العربيَّة الَّا الشيء النزر الذي لا مندوحة عنهُ ومن هذا الفريق مترجمو كتب الحساب والهندسة والفلسفة والمنطق وعلم الفلك وعلم ما وراء الطبيعة والتوراة وعلم الآداب والاخلاق ونحوها . فانك لا تكاد ترى في جميع هذه العلوم الَّا القليل من الدخيل . واما الفريق الآخر فلا يكاد يكلّف نفسهُ عناء في ايجاد الالفاظ العربيَّة المقابلة للاعجمية ولذا اجترأوا بتدوين الالفاظ على ما هي في اصلها . ومن هؤلاء المعرّبين مترجمو علم الطب وعلم الطبيعيات وعلم المواليد اي الجماد والنبات والحيوان وما كان من هذا الباب . الَّا انهُ لمَّا وقعت تلك الترجمات بعد ذلك في ايدي الفصحاء من العرب طرحت كثيرًا من الالفاظ الدخيلة وابقت منها ما شاع وذاع وخفَّ على الاسماع اذ لم يَعُد سبيل الى إماتتها كما يتحققهُ كل امرئٍ خالٍ من الغرض

ويقولون ان منع دخول الالفاظ الغريبة الاصل في العربيَّة تضرّ بغناها وتحول دون ثروتها . قلنا : ان مثل هذه الثروة لا تُجيزها الضرورة فمثَل ذلك مثَل من يُريد ان يتحوَّل بسرقة مال الغير ونهبهِ وسلبهِ . نعم ان من ينظر الى مجرَّد النموّ في الثروة يراهُ امرًا راهنًا لكن اذا فكَّر في اسباب جمعها حكم بحرامها ولم يحلّ ابقاءها عند صاحبها

والخلاصة من هذا الفصل انهُ لا يجوز لنا ان نرحّب بكل غريب ونضيف كل دخيل ان لم يكن ثَمَّ ما لا يُغنينا عنهُ او ضرورة تلجئنا اليهِ . وعليهِ فلا يحسن بنا ان نجاري الكتبة المُعجمين في كل ما يكتبونهُ او ينقلونهُ لنا بل علينا ان نتخذ من الألفاظ الاعجمية ما يفي بالمقصود او يصلح المفسود

٢ دفع راي من يُفرّط في ادخال الألفاظ الاعجمية في العربية

بين كتبة العربيَّة في هذا العصر جماعة لا يقبل اصحابُها بل ولا يريدون ان يسمعوا بكلمةٍ اعجميَّة تدخل لغتهم . غير ان معظم هؤلاء الافاضل اناس لا خبرة لهم باللغات الاجنبيَّة او ان اردتَ قلْ ليس لهم خبرة تامَّة او ليس لهم وقوف على ما يستحدثهُ كل يوم علماء البلاد الاجنبيَّة وما يخترعونهُ من الآلات والادوات الصناعيَّة

وما يستنبطونهُ من مجهولات الطبيعة واسرارها الخفيـة وما ينشئونهُ من المصنَّفات العلميَّة المشحونة من المعاني الدقيقة والأفكار الأنيقة والتصـاوير البديعة والأوصاف العجيبة التي لم تعنّ على بال السابقين ولم يطُفْ طَيْفها في مَطاف مخيَّلة الاوَّلين. — وقول البعض ان الكلمات الدخيلة تبلغ نحو مئة كلمة هو من المزاعم الصبيانيَّة تفنِّدها الحقيقة في كل زمن اذا ما احبَّ الباحث الصادق النيَّة الوقوف عليها بخلوص الطويَّة

هذا ولنا اسوة بسائر الأمم ولُغويّيها وكتبتها ومصنِّفيها فانهم لا يدخلون كلمة غريبة في لسانهم الَّا اذا ارادوا ان يعبّروا بها عن صورة معنويَّة جديدة او يتوخّوا فائدة من اللفظ او غايةً لا يَصلون اليها اذا اتخذوا الفاظ لغتهم سبيلًا الى ذلك او اذا لم يجدوا لها مرادفًا في لغتهم او اذا كانت اللفظة في لسانهم تقصر عن تأدية المطلوب من الكلمة الدخيلة. وعليهِ فحجاراتنا اياهم في هذا الميدان. ممَّا يحمدهُ كل انسان . وينطق بالثناء عليـهِ كل لسان

وبدون ان نأتي بالاجانب فَلْنقتفِ آثار من تقدَّمنا من العرب وكُتَّابها الضلعاء. فلقد رأيناهم لا يأنفون من اتخاذ الألفاظ الاعجميَّة كلَّما دعت الضرورة اليها. ولنا من الاعجمي الذي سبق ظهور الاسلام ودخل في ابان انتشارهِ او بعدهُ بقليل او كثير ما يضمن لنا جواز الاخذ عن الاعاجم كلما مسَّت اليهِ الحاجة او قصرت اللغة عن تأديتهِ او وضع مرادف لهُ

وربَّ معترض يقول: ان الاخذ عن الاعاجم اهانة بحق اللغة العربيَّة الواسعة كأنَّها ترميها بشائبة النقص. قلنا: لا اهانة في ذلك ولا منقصة لان هذا يكون اذا كانت اللغة قاصرة عن تأدية الامور العاديَّة او الطبيعيَّة او الحاجيَّة او ما شابهها. واممَّا ما في عدا ذلك فلا

واممَّا معرفة الالفاظ التي يجب علينا ادخالها اللغة العربيَّة وما هي الطُرق والقواعد لتعريبها وباي الصور نصفُّها في عداد الألفاظ العربيَّة فسـوف يأتي الكلام على هذا الموضوع في موطنهِ ان شاء الله. — واممَّا اذا سألتني: هل يجوز اتخاذ التعـابير الاجنبيَّة والتصاوير الاعجميَّة ممَّا لا عهد بهِ للعرب؟ — فقد اجبناك عن هذا في ما سبق من كلامنا في المشرق (٦: ٢١٧) بجوابٍ وافٍ شافٍ فراجعـهُ في محلِّهِ واكتفِ بهذا التلميح عن التكرار فانهُ بهذا الصدد كافٍ

٣ً انتهاج نهجاً وسطاً في التعريب

هذا النهج يَنهج ممَّا تقدَّم القول في المقدَّمتين اي انك اذا ابتعدتَ عن النقيضتين الإفراط والتفريط لم يبقَ لك الَّا الوسط على حدّ القول المأثور: « خير الامور أوساطها » ولمَّا كان المشرق قد افاض في الشرح عن هذه النتيجة (٣ : ٧٧٣) وما يليها لم يبقَ في النَفس حاجة الى خوض غُمار هذا البحث على غير جدوى

٤ً دفع راي من لا يُريد إدخال الدخيل في العربيَّة

لا حاجة في تخطئة هذا الراي وتسفيههِ فانهُ من ذاتهِ لا يقوم على قائمةٍ قويمة اذ انَّ أوْدها وفسادها ظاهر لكل ذي عينين هذا وانك تعلم ان اصحاب هذا المذهب أفراد يُعَدُّون على الاصابع ومعظمهم غير واقفين على الحالة العلميَّة والصناعيَّة الحاضرة بل ولا على الحالة اللغويَّة السابقة لانهم لو رجعوا الى المعلَّقات وسائر القصائد التي نُظمت بعدها لا بل لو وقفوا على ما سبق تلك المعلَّقات لتحقَّقوا ان الدخيل قد تسرَّب الى كلامهم حتى لم يبقَ في ذلك أدنى رَيب فكيف يطابون بعد هذا بَيض الأُنوق والأبلق العَقوق

طرف

من كتاب تاريخ الوزراء لهلال بن المحسّن الصابئ

سألنا كثيرٌ من القرَّاء ان نزيدهم علماً عن تاريخ الوزراء الذي وصفناهُ في المشرق (٦ : ٤٦٦–٤٧٥) وعن محلّ مبيعهِ مع نقل بعض طرف منهُ فاجبنا الى طلبتهم . هذا الكتاب عبارة عن ٥٨٠ صفحة وهو لا يزال تحت الطبع ويتمُّ نشرهُ بعد شهرين وانَّما يطلب من متولي طبعهِ المسيو اميدروس بهذا العنوان

H. J. Amedroz

7, New Square, W. C., London

ومن اراد ان يطلبهُ على يد مطبعتنا لبَّينا طلبتهُ وثمن الكتاب ١٥ فرنكاً . وهذه طرفٌ منهُ تبيّن محاسنهُ

ل . ش